



يقول الرئيس أوباما عن حق إن التدخل العسكري الأمريكي لا يمكن أن يساعد على حل الأزمات المتفجرة في العراق وسوريا إذا لم يتم التفاهم بين العراقيين والسوبيين واستيعاب جميع الأطراف داخل النظام. وفي آخر أحاديثه، ذكر بوضوح أنه لا يوجد حل للأزمة في العراق وسوريا دون استيعاب السنة في النظم السياسية وإعطائهم حقوقهم.

لكن الذي لم يقله الرئيس الأمريكي هو أن التهميش الذي أصاب شريحة واسعة من أبناء الشعبين، لم يأت بالصدفة. فلم يكن الغرب غائباً عن التحولات في موازين القوى الإقليمية والمذهبية.

لقد ساد اعتقاد قوي لدى أوساط واسعة من النخبة الغربية، بعد ١١ أيلول ٢٠٠١، تحت تأثير عويل الدول العربية المرعوبة من نمو المعارضات التي اتخذت طابع الصحوة الإسلامية، بأن الشيعة أكثر عقلانية وقدرة على التفاهم مع الآخر من السنة الموزعين عموماً بين محافظين منغلقين ومتطرفين.

لقد كان قلب التوازنات ضد العرب ضد السنة جزءاً من سياسة واعية وتستند إلى تحليلات "استراتيجية". وهذا ما ظهر وتم تطبيقه بشكل واضح في الحرب الأمريكية العراقية، عندما اتخاذ القرار السياسي بعدم الاكتفاء بإسقاط نظام صدام حسين وإنما بدمير الدولة العراقية نفسها وإعادة بنائها على أساس طائفية وتسليمها للميليشيات الشيعية المدرّبة في إيران والتابعة لها.

الآن يكتشف الغرب، على ضوء انتصارات داعش المدعومة بجيش من المحبطين والمبعدين والمُهانين من أبناء العرب "السنة"، خطأه، ويحاول تصحيحة من خلال تعديل التوازنات المذهبية داخل الحكومة العراقية.

لكن جذور المسألة أعمق من ذلك بكثير. فمن أجل حماية مصالحه الكبرى، وفي مقدمتها أمن إسرائيل و الصادرات النفطية، وموقع التأثير والنفوذ على الحكومات والدول، سعى الغرب منذ عقود طويلة إلى شل إرادة الشعوب العربية، وتفریغها من قواها الذاتية، وتحييدها، ومن ثم سنّيها الذين هم الأكثرية، ليضعها تحت رحمة ثلاث قوى مفترسة: إسرائيل وإيران الخامنئية والنظم العسكرية والأمنية البوليسية وأحياناً الإرهابية، فقبعت عشرات السنين في مستنقع الخوف واليأس والاحباط والقنوط.

وعندما حاولت أن تثور لاستعادة كرامتها وحريتها، وتقف على رجلاتها، تبني الغرب سياسة النأي بالنفس، إن لم يساعد

جلاديها على الفتك بها.

ليس موقع السنة أو حصتهم في حكومات كراكوزية، هما المطلوب، ولن يخرج تحسينهما أى من البلاد المأزومة من طريقها المسدود. المطلوب الاعتراف بفشل السياسة الغربية الذريع في الشرق الأوسط ومسؤوليتها عن المأساة التي تعيشها شعوبه، وتبني سياسات جديدة بالتفاهم مع ممثلي هذه الشعوب تحررهم من الخوف والقلق والحصار الداخلي والإرهاب الذي مورس عليهم من قبل سياسات القوى المتوجهة الثلاثة، والتي أضيف إليها اليوم قوة رابعة ظلت في رحم الإرهاب نفسه وصارت مثاله الأعلى، تنظيم الدولة الإسلامية.

قرار مجلس الأمن بالتعبئة الدولية ضد داعش قد يفيد في وقف زحف المنظمة الإرهابية على أربيل وبغداد وربما عواصم أخرى، لكنه لن يبدل تربة الخوف والإحباط واليأس التي لم تعد قادرة على إنتاج شيء آخر سوى الأحقاد والضغائن وإرادة التشفى والانتقام الوحشية.

القرار الذي ينبغي على مجلس الأمن أن يتبعه ينبغي أن يهدف إلى القضاء على السياسات المنتجة للإرهاب لا على الإرهاب وحده.

من صفحة الكاتب على فيسبوك

المصادر: